مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

بين النقد الثقافي والتفكيكية قراءة في قصيدة حديث الشجون " لمانع سعيد العتيبة"

د. عائشة جمعه عبدالله الشامسي

أستاذ مساعد ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

DOI: 10.21608/qarts.2023.245612.1786

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٢) العدد (٦١) أكتوبر ٢٠٢٣

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

بين النقد الثقافي والتفكيكية
قراءة في قصيدة حديث الشجون
" لمانع سعيد العتيبة"

الملخص:

تعد التفكيكية من بين النشاطات النقدية التي أثّرت بشكل مباشر في ظهور النقد الثقافي؛ الذي سجل من بعد انفتاحا على مختلف المناهج النقديّة، والذي أثرى بدوره مفاهيمه وأسسه ومنطلقاته، لذلك فإن محاولة فهم النقد الثقافي هي اقتراب في الأصل من الدرس التفكيكي وأفكار ما بعد الحداثة بشكل عام؛ فلقد كان لأبرز نقّاد وأعلام التفكيك دورا مُهما في التنظير للنقد الثقافي وللدراسات الثقافية، على حد سواء، نسعى في هذا المقال إلى تقصي تلك التقاطعات النظرية بين النقد الثقافي والتفكيكية، مطبقين آلياتها على نص شعري للشاعر الإماراتي مانع سعيد العتيبة.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، التفكيكية، ما بعد الحداثة، النسوية.

توطئة:

لقد كانت الدراسات الثقافية التي ظهرت في سبعينات القرن المنصرم، مؤثرًا كبيرًا في نشأة النقد الثقافي، حيث بدأ مركز الثقافات المعاصرة بجامعة برمنغهام البريطانية سنة ١٩٧١، في إطلاق صحيفة أوراق عمل خاصة بالدراسات الثقافية، غير أن " الظهور الفعلي والحقيقي للنقد الثقافي لم يتحقق إلا في سنوات الثمانين من القرن العشرين(١٩٨٥م)، وذلك في الولايات المتحدة الامريكية، حيث استفاد هذا النقد من البنيوية اللسانية، والأنتروبولوجيا، والتفكيكية، ونقد ما بعد الحداثة"[١] وإنه من الملاحظ أنّ النقد الثقافي قد أفاد بشكل كبير " في مقولاته النظرية وفرضياته من القراءة التفكيكية، التي أرسى قواعدها وأصولها **جاك دريدا (Derrida.J)** ؛ حيث قامت استراتيجيات التفكيك على التقويض والتشريح، بهدف الوصول إلى البنى القلقة، التي تهز النص وتشكك في مقولاته، لينفتح بها النص حينها على دلالات لانهائية، ليظل المعنى مرتحلاً في مسارات شاقة لا حدود لها، فكلما ظننا أننا أمسكنا به، نفاجأ بقراءة مختلفة له تنقضه.

وإن النقد الثقافي قد انطلق كذلك من فكرة التقويض، ولكنه لم يَذُرْ في فلكها من أجل التقويض الدائم للمعاني، بل كان تفكيك النصوص لديه بغية الوصول إلى الأنساق الثقافية الغائرة والمضمرة في بواطن النصوص، ولعل هذا أهم ملمح تفكيكي قد بدا أثره في النقد الثقافي؛ إذ أن أشهر أعلام التفكيكية قد أدوا دوراً بارزاً في التنظير للنقد الثقافي، وهذا ما عرض له **(آرثر إيسا بيرغر Berger Asa Arthur)** حينما تحدث عن أشهر النقاد المنظرين للنقد الثقافي، ومنهم الفرنسيان

[١] **صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، م يريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط١ ٢٠٠٧، ص٨٥.**

(رولان بارت Barthes.R) و (جاك دريدا Derrida.J)، والإيطالي (أمبرتو إيكو Eco) "[٢] الذين يعتبرون من أشهر نقاد ورواد التفكيك.

١- بين تقويض المركز التفكيكي/والهيمنة الثقافية:

يطيب لنا هنا أن نركز على صميم القراءة التفكيكية التي دأبت بحسب رؤية منظّرها دريدا إلى التقويض المستمر والتفكيك بلا هوادة بتحطيم التمركز حول اللوغوس/ العقل (logocenterisim) ؛ ومن ثمّ فتح المجال واسعا لتقويض المركزيات والمتعاليات والمهيمن والمقدس وكل ما هو سلطوي ومتعال عن أن يعاد النظر فيه، هكذا ليتجلى كل ما هو هامشي ومبعد ومسكوت عنه ولا مفكر فيه أمام مجال انتباه المتلقي؛ وهو ما يبرر الاحتفاء الكبير للقراءة التفكيكية بالهامش الذي يخفي هواجس المركز ومخاوفه وأهواءه، وقد تسنى ذلك بتحطيم المركزيات المتحكمة في النص/ الخطاب، والذي بموجبه تتخلخل البنيّة ويفقد النص/ الخطاب سلطته الداخلية، مما يسمح بتماهى المركز مع الهامش ذلك أن " التفكيك يقلب النصوص ويهدمها، معيداً بناءها من جديد؛ من خلال استنطاق الصامت فيها، مما يُبرز الهامشي في البناء الجديد، فتنمحي بالقراءة التفكيكية فكرة المركز " [٣] ولقد وذهب دريدا إلى أن " البشر يرغبون في مركز لأن المركز يضمن لهم الوجود من حيث هو حضور، فنحن نفكر على سبيل المثال في حياتنا العقلية والمادية على أنها مرتكزة حول الأنا وهذه الآنا هي مبدأ الوحدة الذي تقوم عليه بنية كل ما يدور

---

[٢] – **نزار جبريل السعودي، الملامح التفكيكية للنقد الثقافي, المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع ٣٧/١٤٧، جامعة الكويت، ٢٠١٩، ص١٢.**

[٣] **ينظر: نفسه، ص١٤ .**

في فضائنا، غير أن نظريات فرويد قد قوضت تماما هذا اليقين الميتافيزيقي بالكشف عن انقسام في الذات بين الشعور واللاشعور"[٤] .

إن البناء الجديد بعد القراءة التفكيكية يعاد تحطيمه مرة أخرى بشكل دوري ومستمر ولا نهائي إلى غاية الوصول في حالات خاصة إلى وضع بعض ما يعول عليه جانبا، ولكن ليس بعيدا عن إمكانية واحتمالية تقويضه في القراءة المناسبة.

إن هذه الفكرة والرؤية هي مصدر وحي النقد الثقافي وجوهر اشتغاله؛ فقد تأثر بشكل واضح بفكرة تقويض وتحطيم المركز السالفة الذكر، وإن كان تحت مسميات أخرى ومصطلحات مغايرة من شأنها أن تقيم فكرة المنهج الآخر والمختلف بالضرورة عن التفكيك ليشكّل مصطلحاته الخاصة وجملة مفاهيمه؛ حيث نجده يركّز على مفهوم الهيمنة مقابل مفهوم المركز في النشاط التفكيكي، لنعاين تحول هذا المفهوم والتأثر بهذه الرؤية، إذ يضفي عليها النقد الثقافي ملمحا واقعيا ومنطقيا أكثر صرامة إلى حد ما من الرؤية التفكيكية، فالتقويض والتحطيم لا يستمر لما يسجل نقطة الانعطاف الحاسمة والمرجوة، كما أن محور الدراسة ومنهج الممارسة النقديّة الثقافيّة لا يسير في مسار لانهائي على غرار استراتيجية التأجيل والأرجاء الذي هو محور التشكيل الحر في المنظور التفكيكي.

يقول مانع العتيبة في قصيدته حديث الشجون :

" قالت: أحبك والهوى أشقاني

وعلى طريق شائك ألقاني

---

[٤] **ينظر: رامان سيلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٨، ص١٣٤.**

قلت: المحبة هكذا لم يختلف

في شرح خافي أمرها اثنان

قالت: فهل أشقاك حبي قلت: لا

قالت: إذن هل نحن مختلفان ؟" [٥]

إن الشاعر هنا يتلاعب بمفهوم الحب، فهو الذي يشقي، وينعم معا، وهذا ما كان يعلنه دريدا بخصوص التفكيك دوما في مقولته الشهيرة، " نعم ولا" "لا هذا ولا ذاك" وهذا ما يهدم التمركز حول المنطق والعقل، حيث الشاعر في مطلع قصيدته هذه، يؤكد وينفي في الآن نفسه.

أما من وجهة نظر النقد الثقافي، يبرز لدينا في هذه الأبيات السابقة، فكرة هيمنة الفحولة الشرقية العربية على الأنوثة، فالرجل/الفحل يمتلك مطلق الحرية في إبداء هيمنته على تحديد الأفكار التي يتطارحها مع أنثاه، منتظرا منها الرضوخ لرؤيته التي تهدم نفسها بنفسها.

غير أن التفكيك هنا يعود أدراجه، ليعيد النظر في فكرة تقويض المركز المنطقي/العقلي التي أعلنها سابقا، "**قالت: إذن هل نحن مختلفان ؟**" يقول الشاعر، إن الاختلاف ذاته الذي يحدد به التفكيك تشكل الدلالات داخل النصوص، يبرز هنا جليا في سؤال الأنثى، والذي يهدم وبشكل جريء، حجاج الشاعر، الذي يدعي صلابة موقفه مع أنثاه، إن طرح فكرة الاختلاف نفسها، ومن دون انتظار قبولها أو رفضها، لتضع معنى مختلفا مقوضا للمعنى الأول الذي أراد الشاعر أن يجعله متعاليا وممتلأً في منأى عن المساءلة.

[5] https://www.aldiwan.net/poem949.html

٢- الأنا المركز والآخر الهامشي:

لقد اهتم النقد الثقافي بدراسة الصلات بين الذات المتمركزة والآخر الهامشي، وسعى إلى هدم التمركز المتسلط الذي يمنح الذات المركزية الأفضلية والتفوق، وذلك في إطار تعريته لوسائل الهيمنة وطرائقها، التي تتوسلها الذات المركزية للسيطرة على الآخر المُهمَّش، ويُقصَد بالآخر كل ما هو مختلف عن مقومات المؤسسة، التي تخص الجماعات الاجتماعية، باعتبارها كيانا مستقلا ومتفردا، فالآخر ولا شك تصنيف إقصائي يطبع هوية مجموعة ما، وهو تراتبيه خلقها خطاب القوة، ممارسا عليها غطرسته، وقد توسعت مجالات الآخر في النقد الثقافي ليشمل الآخر المستعمَر، والمرأة المضطهَدَة، وكل من طاله الإقصاء، بسبب لونه أو عرقه أو جنسه، ولذا تم التركيز على زعرزعة التمركز الحاصل بسبب التمييز الواقع على أساس العرق والطبقة والجنس.

يقول الشاعر مانع العتيبة مكملا نصه:

" قلت: اسمعي يا بسمتي و شقاوتي
إنا بأحضان الهوى طفلانِ
نبكي و نضحك في زمان واحد
شاء الهوى فتجمع الضدانِ" [٦]

إن الشاعر يعلن في قصيدته العاطفية أن الرجل والمرأة "ضدان"، فالمرأة هي بسمته وشقاوته، إنها سعادة الضحك وتعاسة البكاء الذين يتحدان بشكل تراجيدي مريع، يتغيا تقديم تعريف مفكك وصدامي – تلائمي للحب، البسمة والشقاوة معا وفي آن

[6] https://www.aldiwan.net/poem949.html

واحد، والبكاء والضحك في الزمان نفسه، لاشك أن التفكيك مولع وبشكل لا يخفى بهذه التضادات التي تصبو إلى تقويض مبدأ الثنائيات، الذي يرفضه التفكيك، إن المرأة هنا إذن هي الآخر/ الضد .

يكمل الشاعر نصه، قائلا:

" فإذا بكينا قال دمع عيوننا
سأظل منسكبا مدى الأزمانِ
لكن قلب الطفل بين ضلوعنا
لا يستطيع تحمل الأحزانِ
يرتد عن أشجانه في لحظة
و الدمع لا يناسب غير ثوانِ
ينسى و ما من نعمة لقلوبنا
لو تعلمين كنعمة النسيانِ" [٧]

إن المرأة/ الآخر، في هذا النص، تغالب شاعرها بغية السيطرة على عواطفه، إنها تريد أن تحكم عليه بالحزن المؤبد، غير أن الشاعر وبحيلة شعرية بارعة يرتد بالزمن العاطفي، إلى الطفولة، هناك حيث يستعير ذلك الزمن البريء، ليحول دون خضوعه للأنثى المسيطرة، التي يتصارع معها، وتتصارع معه، وهما في أوج علاقة الحب، وهاهو الشاعر يصرح بهذا بقوله:

" لي في الحنايا شابَ طفلٌ خافقٌ من هول ما لاقى من الطغيان" [٨]

---

[7] https://www.aldiwan.net/poem949.html

[8] https://www.aldiwan.net/poem949.html

أيعقل هذا؟ نعم طبعا، فالعلاقة مع الآخر هنا هي رابطة سيطرة وطغيان كما ينعتها الشاعر، بقدر ماهي آصرة حب وعاطفة متأججة، إن الحب قابل للطغيان، فهو صلة تتحاور فيها قوة الجمال العاتية وقدرته على التسلط مع نعومة الأشواق ورهافة الإعجاب.

يحدثنا الشاعر عن قلبه النابض الذي شبهه بطفل خافق، بحسرةٍ:

" علمته ألا يبوح بسره

لكنه لما رآكِ عصاني

أعطاكِ تاريخي بكل فصوله

فعرفتِ قدري في الغرام و شاني" [٩]

هكذا يحدثنا الشاعر عن الحب، كأنه في محل مطارحة عن السياسة والحكامة، فالقلب في حالة عصيان عاطفي، يضارع ذلك العصيان المدني العاصف، كما أن للقلب تاريخ له فصول، مثلما للأمم تواريخ، وبالفداحة الأمر، إن الشاعر هنا هو من يطاله الإقصاء، فقبله ينحاز إلى الحبيبة/الآخر/ الضد، ليصير هو المستبعد والمضطهد.

٣- النسوية:

من القضايا التي أعمل فيها النقد الثقافي أدواته، قضيةُ النسوية والجندر؛ حيث "يشتغل النقد النسوي على مستوى واضح بالمسائل المرتبطة بالجنوسة على سبيل

[٩] نفسه

المثال "[١٠] وقد جاءت النسوية لتبرز الآخر المهمش/ المرأة، وسعت إلى تحطيم التمركز الحاصل بسبب الجنس، والذي منح الذات/ الرجل الهيمنة الفكرية الكاملة، فلقد سعت النسوية إلى "إعادة تنظيم العالم على أساس المساواة بين الجنسين (ذكر/ أنثى) في جميع العلاقات الإنسانية، إنها حركة ترفض كل تمييز بين الأفراد على أساس المساواة، وتلغي جميع الامتيازات والأعباء الجنسية، وتسعى جاهدة لإقامة اعتراف بالإنسانية المشتركة للمرأة والرجل، باعتبارها أساس القانون والعرف" [١١]وذلك بفحص النصوص من منظور يحاول استبعاد كل ما يريد وضع حواجز تفرقة بين الرجل والمرأة بدواع جندرية.

يكمل الشاعر مانع العتيبة نصه قائلا:

"أغراكِ ثلجي فاحترقتِ بناره
و لمستِ بردَ الثلج في نيراني
أحرقت بين يديك لهو طفولتي
بإرادتي و كبرت قبل أواني"[١٢]

هنا وفي هذه الأبيات يحتدم الصراع الناشب بين الشاعر وحبيبته، وتبرز لنا تلك الذهنية الشرقية المتهيبة، التي غالبا ما تظهر الرجل على أنه ضحية أبدية للحب، في حين تكون المرأة وعلى الدوام المنتصر اللامبالي فيه، إن هذا يحيل مخيالنا العربي وجها إلى التفكير وبجد، في قدرة المرأة على ترويض عواطفها،

---

[١٠] _ ينظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، تاريخ الدخول : ٢٠٢٣/١٠/٠٦، ١٦:٥٢ https://www.aljarida.com.cdn.ampproject.org.١٤٦١٣٦٢٠٨٢٧٤٣٧٩٠٠٠٠

[١١] ينظر نفسه

[12] https://www.aldiwan.net/poem949.html

وعلى الإيقاع بغريمها في شبائك هواها الفاتكة، قبل أن تتركه رهين العذابات والآلام، إن المرأة مثال الجمال والشغف والفتنة، تتمرأى هنا وبشكل طاغ على أنها كائن خارق قادر على تطويع الرجل، وعلى ترويعه، هكذا ليبدو لنا وجليا ذلك التهيب الشرقي المبالغ فيه من كل ما للمرأة دخل فيه، فهي القادرة على الاحتراق بنار الثلج العجيبة، والمتمكنة من لمس البرد في ألسنة النيران المتأججة، إن المرأة هنا تنتزع الشاعر العاشق من صباه وبراءته انتزاعا، ومن سعادة طفولة قلبه، ليكبر قبل أوانه، مطوحة به في عالم الصراعات والأهوال لتحرمه من بهجته في الوجود.

٤- النقد الثقافي الصورة والإعلام:

لقد احتفى النقد الثقافي بدراسة الإعلام، والاهتمام بثقافة الصورة؛ فقد كانت مثل هذه الدراسات هامشيّة، إلا أن النقد الثقافي حفل بها كثيراً حتى عُدّت مركزاً رئيساً في الدراسات الثقافية، ومن أكثر ما اهتم به النقد الثقافي في هذا الشأن دراسة (شيفرات الإعلام)؛ أي دراسة المضامين الفكرية للمواد الإعلامية، وفحص محتويات تقاريرها ومنتجاتها، وهل ثمة ما تحويه من ثقافات خاصة بمجموعة عرقية مختلفة، وفهم تمثلات القولبة الثقافية والعرقية، إضافة إلى فهم "الدور المنوط بالأفراد من مختلف الجماعات الثقافية، من أجل تشكيل المنتج المرجو، وإلى أي مدى يمكنهم التحكم في عملية الإنتاج فالنقد الثقافي يقرأ بعمق مضامين الخطاب الإعلامي، وتأثير الصورة على الأفق، تلك الصورة التي كانت تُعدّ دراستها شيئاً هامشياً، إضافة إلى دراسته للمضامين الإعلامية المتصلة بالآخر المهمَش، الذي وقع عليه التمييز العنصري بسبب لونه أو عرقه أو جنسه".[١٣]

[13] https://spu.sharjah.ac.ae/index.php/HSS/article/view/3424/559

وفي قراءة لقصيدة حديث الشجون للشاعر مانع سعيد العتيبة، على موقع اليوتيوب، يصور لنا مصمم الفيديو، شابا يضع قبعة، ويحمل على ظهره، ما يشي بأنه حقيبة سفر، إذ أن المصمم يصور على الجانب الأيمن للفيديو، فتاة تحمل هاتفا، باعتبارها المرأة/المعشوقة التي يعنيها الشاعر بنصه " حديث الشجون " مرسوما على هاتفها خريطة العالم، وهي تدير ظهرها للناظر إليها، إن مصمم القصيدة يريد أن ينقل لنا رؤيته الخاصة لها، فهو يمثل لنا تلك الفجوة المكانية التي يقرها النص ذاته، والتي تبرز فيه كهوة زمنية سحيقة، فالشاعر موغل بكليته في زمان الطفولة، والبراءة، في حين أن محبوبته، خارج هذا الزمان الطفولي، إنها في عالم آخر ثان، غير عالم الشعر والشاعر والمشاعر، إن النظرة الإعلامية التصويرية للقصيدة هنا تعيد صياغتها وبلورتها، داخل إطار رؤيوي مختلف، يتطلع إلى قولبتها ثقافيا، بواسطة رسم ذلك الشرخ الواضح بين الشاعر والمرأة /الحب، والذي يتموضع داخل الصورة بوصفها مسافة مكانية مستحيلة الاختزال والقطع.(يمكن الاطلاع على فيديو القصيدة على الرابط أسفله) [١٤]

٥- المختلف والمضمر:

إنّ التقويض المستمر في القراءة التفكيكية يؤدي إلى اللعب المستمر للمدلولات وإلى تعدد للمعنى، وعدم استقرار وثبات على هيأة معيّنة ليبقى هلامي التشكل دائم المراوغة والمخاتلة، وهي من أهم سمات الخطاب، فالمعنى مع التفكيك لم يعد حاضراً في الخطاب إلا مقروناً بالغياب، وهذا ما تبلور في النقد الثقافي حينما

[١٤] : **على هذا الفيديو قراءة لقصيدة حديث الشجون**

https://www.youtube.com/watch?v=Vei2hEdl9_U

تحفّظ عن المعنى، وبما أشار إلى ما يحويه النص من مضامين مخادعة وغير بريئة.

لقد جاءت " القراءة الثقافية لتميط اللثام عن معنى النص أو النشاط الثقافي الذي يُنظَر إليه كنص، لا عن طريق التحليل العقلي وإعمال الفكر، وإنما بالنفاذ إلى داخل النص فالنقد الثقافي يرى أن المعنى مختزل في شبكة الثقافة، وتتم عملية التستر على المعنى تحت ستار اللغة الجمالية النصية؛ فالمعنى في مرحلة انتقاله من الثقافية إلى النصية ينخرط في سلطة النص، والنص يتستر عليه تحت حجاب النصية، كما تتستر الثقافة على المعنى تحت ستار القيم والعادات والتقاليد"[١٥] حيث أن النقد الثقافي يسعى إلى " نقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه، وصيغه، ماهو غير رسمي وغير مؤسساتي، و ماهو كذلك سواء بسواء، من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي ولذلك فهو معنى يكشف ماهو غير جمالي" [١٦] لذلك يحاول النقد الثقافي جاهداً الكشف عن المعاني المراو غة والمتوارية في النصوص، والمتلونة بثوب جمالي، ولذلك سعى إلى مساءلة النصوص عن المعاني الاجتماعية التي يصبو لتحقيقها، فالخطابات بالمنظور التفكيكي تحمل دلالات خفية لا تظهر لغير الناقد المتمرس ، كما يمكن لها أن تكون في ظاهر الخطاب ذات ظهور بريء؛ لكنها تشتغل على تمرير أفكار نابعة من النظام المهيمن للوعي الجماهيري عبر ظاهر الخطاب وبراءته، لتلقى استحسان ذائقة المتلقي عبرها، "وهذه الدلالات الخفية قد تتوارى

---

[١٥] – **نزار جبريل السعودي، الملامح التفكيكية للنقد الثقافي, ص١٧.**

[١٦] **عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٣، ٢٠٠٥، ص، ص، ٨٣، ٨٤.**

في هيئة صفات عارضة هامشية، إلا أنها تكون مركزية في الخطاب، وهذا ما تجهد القراءة التفكيكية لنقضه والبيان عنه، حين تقوّض الخطابات وتفككها، فالتفكيك يشير في المقام الأول إلى الكيفية التي يمكن بها رؤية السمات العارضة في نص، بوصفها سمات تجعل فحواه الجوهري يضل عن قصده المزعوم، فيعتريه تقويض تلقائي" [١٧].

يقول مانع العتيبة متما قصيدته:

" أحرقت بين يديك لهو طفولتي
بإرادتي و كبرت قبل أواني
و اخترت سجن الانتظار لأنه
ما كان قهر الحب في إمكاني" [١٨]

إن الحبيبة هنا تلك التي حرمت شاعرنا المتوهج من طفولته ونعمائها، لجديرة بالمديح حقا، كيف لا، وهي التي جعلته يكبر قبل أوانه، ليصير ناضجا واعيا، فاهما للحياة وقبل أوان ذلك حتى، إن هذه لمزية لا تمنحها إلا امرأة جميلة معشوقة لرجل، هكذا يغيب هنا وفي خضم هذا العطاء الواعي الذي تهبه الحبيبة– ذلك الحرمان الذي تسببت فيه، ولئن كان الشاعر قد اختار سجن الانتظار، فلأنه حبسٌ أوسع من كل فسحة قد يمنحها القهر الذي لا يمكن لرجل أن يحتمله، فالانتظار قادر على إرجاع كل زمن جميل، كما أن في إمكانه أن يرجئ ذلك العذاب الذي يتوعد الشاعرَ جراء ما ناله من هول طغيان الحب.

---

[١٧] – **نزار جبريل السعودي: الملامح التفكيكية للنقد الثقافي، ص١٦.**

[18] https://www.aldiwan.net/poem949.html

على كل رجل شرقي إذن أن يحذر من الحب، والحال هذه، وعليه أن يختار وبعناية المرأة التي تستحق عذاباته وآلامه التي لا مفر منها.

إن هذا الملمح القرائي يقودنا إلى الحديث عن إحدى أهم سمات القراءة التفكيكية وهي الازدواجية "ازدواجية القراءة الظاهرة والباطنة للخطاب، فالقراءة التفكيكية تهدف لبيان المعاني الصريحة للخطابات، ثم تسعى إلى تقويض ما تصل إليه من نتائج في قراءة معاكسة، تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معانٍ تتناقض مع ما يُصرَّح به" [١٩] وهذه القراءة التفكيكية المبينة لتناقضات الخطاب قد تظهر في صورة مفردة، أو في خضم مجاز يحوّر المعنى الخفي المخاتل، إلى معنى ظاهر بريء، وقد أشار **ريتشارد روتي** في كتاب مدخل إلى التفكيك عن الآلية التي تتم قراءة النصوص عبرها قائلا" في أثناء قيامك بفك شيفرة نص ما على نحو تقليدي، لو صادفتنا مفردة يبدو أنها تضمر تناقضاً غير قابل للحل، واستناداً إلى كون مفردة واحدة قد بدا أنها تشتغل أحياناً في النص بكيفية معينة وأحيانا بكيفية أخرى، ومن ثم تبدو وكأنها في موضع لا يطاله غياب معنى موحد، فإننا نمسك بهذه المفردة، ولو بدا أن مجازا يطمس ما ينطوي عليه من تضمينات فسوف نمسك بهذا المجاز، وسوف نقتفي أثر مغامراته عبر النص، فنرى النص في طريقه إلى أن ينحل من حيث هو بنية إخفاء كاشفاً انتهاكه لنفسه بنفسه وكاشفاً عدم قدرته على الحسم" [٢٠] فسجن الانتظار الذي اختاره الشاعر بدل الرضى بقهر

---

[١٩] – **سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، ط ٣، بيروت، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٢ ، ص ١٠٨ .**

[٢٠] **الحوار المتمدن،**

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=331747

الحب، يفتح فسحة رحبة، لتعدد دلالة السجن هنا، باعتباره فضاء منفتحا يفر إليه الشاعر، من قهر الحب، غير أن السجن في ذاته، يظل دالا على الضيق والقهر.

٦- النقد الثقافي والنسق:

لقد أولى النقد الثقافي مفهوم النسق أولوية كبيرة، وفي المناهج النقدية الحديثة ترد كلمة " نسق" مقابلة لـ system وهي تشير إلى نظام ينطوي على استقلال ذاتي يشكل كلا موحدا، وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها، وكان سوسير يعني بالنسق شيئا قريبا من مفهوم البنية، ويمكن القول إن الاهتمام بمفهوم النسق راجع إلى تحول بؤرة اهتمام التحليل البنيوي عن مفهوم الذات أو الوعي الفردي من حيث هما مصدر للمعنى، إلى التركيز على أنظمة الشفرات النسقية التي تنزاح فيها الذات عن المركز"[٢١] .

ولقد عدّ **تيري إيجلتون** التأويل الثقافي مهتماً "بفحص الرؤى الأيديولوجية والممارسة الاجتماعية في بنية الخطاب الأدبي، بوصفها أنساقاً غير بريئة" [٢٢] فالنقد الثقافي كما ذُكرَ سابقاً مهتم بالمعنى ومخاتلته وتلونه في الخطاب، وتناقض دلالاته السطحية الظاهرة عن الدلالات الخفية الباطنة، فجمال الظاهرة لا يستوقفه كثيراً بقدر ما تستوقفه بواطن الظاهرة ودواخلها؛ سعياً إلى ما يستقر فيها من دلالات متأرجحة، ولذا فإن أهم سمة من سمات النسق هي المراوغة، وتعد الأيديولوجيا مركز النسق المشكل للتعارض الدلالي، الذي مرّ الحديث عنه قبلاً

[٢١] محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط٣، ٢٠١٢، ص١١٥.

[٢٢] – يوسف عليمات: النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، إربد، ط ١، ٢٠٠٩ ، ص ٧١ .

في التفكيكية، وهي إحدى تمظهرات الثقافة ذات السمة السيميولوجية، التي يمكن أن تُوَظَّف كإشارات؛ أي بوصفها عناصر في أنظمة الاتصال المحكومة بقوانين دلالية، وشيفرات لا تكون مدركة بشكل مباشر في التجربة"[٢٣] وهكذا يتأكد للقارئ الفاحص أن مفهوم النسق ينحدر في أصوله من التفكيكية، التي اهتمت بتواترات المحتوى الداخلي للخطاب، وتناقضاته الخفية"[٢٤] كما نجد ذلك في أشغال النقاد العرب الأوائل الذين أصّلوا لتلقي النقد الثقافي من أمثال الناقد عبد الله الغذامي، في تأكيده على ربط الأدب العربي بالنسق المضمر بغية استكشافه ومحاورته.

فالمرأة حتى تلك التي تصرح بحبها في مطلع قصيدة شاعرنا العتيبة:

" قالت: أحبك والهوى أشقاني
وعلى طريق شائك ألقاني" [٢٥]

هي مصدر للشقاء، غير أن الشاعر يكمل نصه بالتسليم برضاه بقدره الشائك الجميل، وهناك يتبدى لنا هذا النسق الاجتماعي– الثقافي، فالجمال مبطن بالتنكيل بكل من يقع بين يديه وأحضانه، إن الجمال فتاك، وهذا عينه ما يسعى النقد الثقافي إلى التحذير منه، يقول الشاعر:

" أهواك يا قدري الجميل و ليس لي
إلا الرضى حتى بمر هواني" [٢٦]

---

[٢٣] – **المرجع نفسه، ص٧٧.**

[٢٤] – **ينظر: نزار جبريل السعودي، الملامح التفكيكية للنقد الثقافي، ص١٨.**

[25] https://www.aldiwan.net/poem949.html

[٢٦] **نفسه**

إن الجمال مرٌّ يعترف الشاعر، وما علينا إلا الرضى بذلك، فلا سبيل لنا إلى الجمال إلا عبر سيبل الحب الشقي، كما أن الأسى والوجع يتواريان خلف قناع الجمال، وإن الإنسان في كل هذا لا يمكنه إلا أن يكون فريسة لكل جميل في هذا العالم، وإنه يصرح بهذا ويصرخ به كما يفعل شاعرنا قائلا:

" إني أحبك دائما سأقولها

بلسان قلبي لا بلفظ لساني" [٢٧].

خاتمة

لقد أولع النشاط النقدي التفكيكي بتقويض النصوص الكبرى، ليس إلا من أجل تقصي الهامش المغمور تحت أنقاض رقابة ووصاية المؤسسة المتسلطة بكل تمثلاتها، وهذا ما نلفيه في مقاربات النقد الثقافي الذي تقصى تلك المعاني المتوارية.

إن مطرقة التفكيك التي أعملها على تلك البنى الهشة والصلبة قد عمدت إلى زعزعة التمركز حول الأنا المتعالي، ذلك الذي يدعي امتلاكه للحقيقة والكلية والمطلق، منصتا إلى الآخر المقصى داخل آليات قرائية –عقلية مشبوهة، وإن هذا عينه ما قصد إليه النقد الثقافي الذي سعى إلى مشروع حفريات معرفية–نسقية، لتبيان مسارات الأنا والآخر، وما حددته من أحابيل وتصنيفات وتراتبيات قاهرة لموضعة ما يسميه النقد الثقافي بالتابع.

[27] https://www.aldiwan.net/poem949.html

وإن النقد الثقافي كما التفكيك، يسعيان إلى منح الكلمة للمهمش، والتابع، بتعقب تلك الفروقات الفجة الموضوعة كمغالطات معرفية داخل أنظمة القيم الإنسانية، ولأجل ذلك اهتما بما نعت بالنسوية.

وفي خضم اهتمام النقد الثقافي والتفكيك بكل ما له اتصال بمحددات الرمز والمعنى، ألفينا النقد الثقافي يتجه نحو استكناه تلك الأيقونات المتسترة في تلافيف الصورة الإعلامية، تلك الصورة التي تحمل في تفاصيلها مؤثرات خفية، تعمل ضمن أنظمة تأثير رمزية، حيث نلمح ذلك التقاطع بين النقد الثقافي والتفكيك، فيما يتعلق بذلك الهوس الاستراتيجي بالاختلافات وقدرتها على كشف ألاعيب التمركز حول العقل، وهذا ما ينعته النقد الثقافي بالمضمر، ذلك السلطوي الكامن في أغوار الأنساق، المتحكم في صميم الأفكار والأهواء.

ولقد اخترنا لمقالنا هذا نصا شعريا لشاعر إماراتي له وزنه وسمعته، ذلك أن النقد الثقافي مثله مثل التفكيك، يتحرى الفنون الجماهيرية وكذا النصوص الكبرى كما أسلفنا، والتي يتبلور فيها اللاوعي وكذا الهواجس وردود الأفعال بأكمل تجلياتها، كما تتكدس فيها وبشكل لافت كل تمثلات الثقافة وخفاياها، حيث إن نص الشاعر مانع العتيبة، قد أبرز اشتغال أدوات النقد الثقافي، واستراتيجيات التفكيك، وأعاننا على تبيان مقاصدها النظرية والتطبيقية.

قائمة المصادر والمراجع

- صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط١ ، ٢٠٠٧.
- رامان سيلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٨.

https://www.aldiwan.net/poem949.html

- ينظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، تاريخ الدخول : ٢٠٢٣/١٠/٠٦، ١٦:٥٢ ١٤٦١٣٦٢٠٨٢٧٤٣٧٩٠٠٠.https://www.aljarida.com.cdn.ampproject.org
- https://spu.sharjah.ac.ae/index.php/HSS/article/view/3424/559
- https://www.youtube.com/watch?v=Vei2hEdl9_U

- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٣، ٢٠٠٥.
- سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، ط ٣، بيروت، المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٢.
- الحوار المتمدن،

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=331747

- محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط٣، ٢٠١٢.
- يوسف عليمات: النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، إربد، ط ١، ٢٠٠٩ .

Between cultural criticism and deconstruction Reading in the poem of the (hadith of al shogoon)

" Mana Saeed Al Otaiba"

Abstract:

Deconstruction is among the proven activities that directly influenced cultural criticism. Which was recorded after it was opened to various critical approaches, and which shared its concepts, foundations and starting points. Therefore, the attempt to understand cultural criticism is originally from the lesson of deconstruction and post-modernist ideas in general. The most prominent critics and figures of the breakthrough were knowledgeable in cultural theorizing and cultural studies, alike, and it is noticeable that cultural criticism has benefited greatly in its theoretical categories and hypotheses from deconstructive reading, the foundations of which were laid by Jacques Derrida (Derrida.J). Deconstruction strategies focus on undermining and dissecting, with the aim of reaching the anxious structures that shake the text and question its statements, so that the text then opens up to infinite connotations, so that the meaning continues to travel along arduous and limitless paths. Whenever we think we have grasped it, we are surprised by a different reading of it that contradicts it. Cultural criticism also started from the idea of undermining, but it did not revolve around it for the sake of permanently undermining meanings. Rather, it deconstructed texts in order to reach cultural patterns that were deep and hidden within the texts. Perhaps this is the most important deconstructive feature whose impact has appeared in cultural criticism.

In this article, we attempt to investigate these constant intersections between cultural rejection and deconstruction, applying them to a poetic text by the Emirati poet Mana Saeed Al Otaiba.

Keywords: Cultural criticism ،deconstruction ،postmodernism ، Feminism